١٥

شباب محمد صلى الله عليه وسلم

من مقومات الداعية

عبرة الموت .. والخوف من الله

محمد فهمي عبد الوهاب

دار الاعتصام

شباب محمد صلى الله عليه وسلم

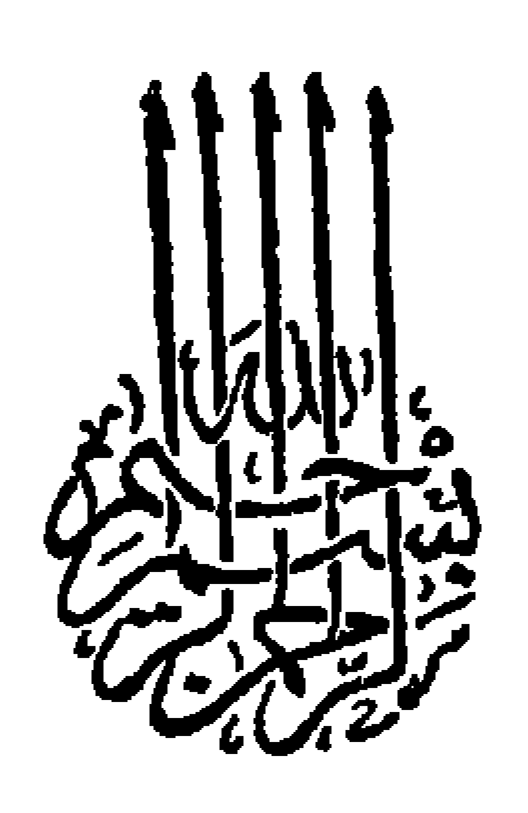
رسائل الدعوة

من مقومات الداعية

عبرة الموت .. والخوف من الله

محمد فهمي عبد الوهاب

دار الاعتصام



تصدير

الحمد لله ، نحمده تبارك وتعالى ، ونصلى ونسلم على نبينا ورسولنا وامامنا وحبيبنا وسيدنا ، محمد بن عبد الله ، خير خلق الله ، وسيد رسل الله ، والقائل تحدثا بفضل الله ونعمة الله ((أنا سيد آدم ولا فخـــر)) .

اللهم صــل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعـــين ..

أما بعـــد ...

فيقول الامام الغزالى رضى الله عنه : ((ان الرجـــاء والخوف جناحان ، بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة لكل عقبة كؤود . فلا يقود الى قرب الرحمن ، وروح الجنان — مع كونه بعيد الارجاء ، ثقيل الأعباء ، محفــوفا بمكاره القلوب ، ومشاق الجوارح والأعضاء — الا أزمة الرجاء . ولا يصـد عن نار الجحيم

والعذاب الأليم ـ مع كونه محفوفا بلطائف الشهـــوات ، وعجائب اللذات ـ الا سياط التخويف ، وسطوات التعنيف)) .

وصدق الامام الغزالى رضى الله عنه ، فلابد للعبد مـن جناحى الرجاء والخوف . رجاء فى الله لا يطمعه فى معصيته ، وخوف من الله ، لا يقنطه من غفرانه ورحمته . وكلاهما زمامان على النفوس ، لئلا تخرج الى رعوناتها . وكلاهما دواء لعلاج النفس ، وتطهير القلب من المعاصى والأغيار . قال تعـــالى يصف عباده المتقين (يدعون ربهم خوفا وطمعا) السجدة ١٦ .

* * *

والخــوف من الله ، هــو سوط الله الذى يقوم به الشاردين عن بابه فيسوقهم الى رحابه ، يطلبون عفــوه ورحمته ، ويستعيذون من عقابه وعذابه .

والخوف من الله على ثلاثة أوجه :

* خــوف الأجلة ، لأنهم علموا أن الخوف من الله ، مقرون بالايمان . قال تعالى : (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنـــين) .

* وخوف الأوساط ، لأنهم يرون أن الخوف من الله ،

هو الطريق الى الجنة . قال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتـــــان) .

* وخـوف العامة ، لأنهم يخـافون من عذاب الله وعقـابه . قال تعالى : (يخـافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) . فخوفهم اضطراب قلوبهم مما علموا من سطوة معبـــودهم .

فالخوف شرط للايمان ، وصمام من المعصيـة ، وسبيل الى الجنـــة .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل النـــار من باكى من خشية الله ، حتى يلج اللبن فى الضرع)) .

ويذكر النبى صلى الله عليه وسلم السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ، يوم لا ظل الا ظله .. ومن بينهم : ((رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) .

ويقول أبو على الدقاق ، رحمه الله :

الخوف على مراتب : الخوف والخشية والهيبة :

فالخوف من شرط الايمان وقضيته . قال الله تعالى :
(وخافون ان كنتم مؤمنين) آل عمران ١٧٥ .

والخشية من شرط العلم . قال الله تعالى : (انمـــا يخشى الله من عباده العلماء) فاطر ٢٨ .

والهيبة من شرط المعرفة . قال الله تعالى : ويحذركم الله نفسه) آل عمران ٢٨ .

وللخائفين علامات منها :

* ترك المعصية : فقد قيل : ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، انما الخائف ، من يترك ما يخاف أن يعذب عليـــــه .

* وتذكر المعـــاصى ، والندم عليها . فقـد قال صلى الله عليه وسلم : (العبـــد المؤمن بين مخافتين . بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صـــانع فيه ، وبين أجــل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فوالذى نفسى بيده ، ما بعـــد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، الا الجنـــة أو النار ــ أخرجه البيهقى فى الشعب .

ومن عـــلامات الخائفين ، الاقبـــال على طاعة الله ، والاكثار من عبادته ، ولذا رأينا الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم حواريو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقومون الليل حتى تتورم أقدامهم ، خوفا من الله .

وكيف لا يخاف ، من لا يأمن مكر الله تعالى ، فلا يعلم ايقبل عمله أم يرد عليه ، وهل يختم له بالخير أم بالسوء .

هذه عائشة رضى الله عنها تقول : ((قلت يا رسول الله : (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر ، قال : لا .. ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل أحدكم الجنة بعمله . فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلنا واقف على أعتاب فضله وعفوه ورحمته (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

والعبد لا يدرى ، هل عمله صحيح مقبول ، أم باطل مردود . (هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : ((انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر)) .

فالعبــد يجب ألا يغلب عليــه الغرور ، فهــو لا يعلم بخاتمته : قال حاتم الأصم :

((لا تغتر بموضع صالح ، فلا مكان أصلح من الجنــة ، فلقى آدم عليه السلام فيها مالقى !..

ولا تغتر بكثرة العبادة . فان ابليس بعد طول تعبده ، لقى ما لقى !..

ولا تغتر بكثرة العلم . فان ((بلعام))(١) كان يحسن اسم الله الأعظم . فانظر ماذا لقى !..

ولا تغتر برؤية الصالحين . فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينتفع بلقائه ، أقاربه وأعــــداؤه)) .

فهؤلاء الذين غلبهم الغرور ، وفقدوا الخوف من الله .. ينبغى أن ينشد فيهم :

---

(١) يقال له : بلعم بن باعورا من علماء بنى اسرائيل . وهو الذى نزل فيه قوله تعالى **(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغــــاوين)** الأعراف ١٧٥ . طالع قصته فى تفسير القرطبى ٧/٣١٩ .

أحسنت ظنــــك بالأيام اذ حسنت
ولم تخف ســــوء ما يأتي به القــدر
وسالمتك الليــــالى فاغتررت بهــــا
وعنــد صفو الليــالى يحــدث الكدر

ويرتبط بموضوع الخــوف من الله ، عبرة المــوت . الذى هو نهاية كل حى ، والذى قصم رقاب الجبابرة ، وكسر ظهور الأكاسرة ، وقصر آمال القياصرة . فنقلهم من القصــور الى القبــور ، ومن ضيــاء المهود الى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان ، الى مقاساة الهوام والديدان . ومن التنعيم بأبهة الفراش والثياب ، والطعام والشراب ، الى التمرغ فى الرغــام والتراب . ويأتى بعــد الموت البعث والحساب . فتجــد كل نفس ما عملت حاضرا . وتســاق كل نفس يومئذ ، اما الى جنــة ، واما الى نار .

هذه المعانى كلها ، هى من أهم ما يحتاج اليه الداعيــة فى حياته ، لأنها تصقل نفسه ، وتطهر روحه ، فيخلص عمله وجهاده لله ، لا يشرك مــع الله أحدا ولا شيئا .. لا يشرك فى عمله وجهاده ، نشــوة ولا شهــوة نحو جاه أو منصب أو مال .. ولا يركبه الغــرور ، فيتعالى على الناس ، ولا يحتزن أحدا من خلق الله .. بل يبقى بين قومه ، العبد المتواضع ، الخائف من الله ، ويشعر أنه على خطر عظيم .

من هنــا .. رأى الأخ الكريم الأستــاذ / محمــد فهمى

عبد الوهاب ، نائب رئيس شبـــاب سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم ، أن من مقومات الداعية عبرة الموت والخـــوف من الله . فكتب هـــذه الرسالة من فصلين : الأول عن عبرة الموت .. والثانى عن الخـــوف من الله .. فكلاهمـــا ركيزة التقوى وصلاح النفس .

والداعية أحـــوج ما يكون الى تقويم نفسه ، ومعالجة روحه ، قبل أن يقدم على قيادة الناس ، والتصدى للدعوة لتقويم غـــيره ومعالجة أرواحهم . فالدعوة لا تثمر الا اذا رأى النـــاس فى أصحابها قـــدوة طيبة لهم .. والقدوة لا تكون كلاما ، ولكنها سلوك والتزام ، سلوك طيب من الداعية بينه وبين الناس ، والتزام التقوى بينه وبين الله ..

محمد عطيـــة خميس
رئيس شباب سيدنا محمد
صلـــى الله عليـــه وســـلم

* * *

مقدمة

كثيرا ما يتناول دعــاة الاسلام فى عرض الدعوة شتى قضايا الحيــاة ، وحلولها المثلى فى القرآن الكريم والسنــة الشريفة .. حتى صارت قضية الاسلام فى مضمونها — فى نظر السواد الأعظم — هى قضية التشريع الأمثل حين يقارن بالتشريعات والمذاهب الأرضية .. وحتى اتسعت دائرة هذه القضية فصدرت الملفات الضخمة والبحوث الدقيقة والمقالات الطويلة ، ولا تزال هــذه الدائرة تتسع رافعة أصــوات المتخصصين فى علوم الفقــه وفروعه فى مجال التشريع .. شارحة نظريات الاسلام فى اقامة المجتمع المثالى عــدالة وأمنا ورخاء وتقدما وسيادة ..

وهــذا لعمرى جميل وجليــل ، ولكنه لا يكفى .. اذ يصبح فى حقيقة أمره كالبــذرة الصالحة المنتقاة ، تبــذر فى أرض صلبة لم تحرث بعد لاستقبالها والتفاعل معها ، لتأتى أكلها طيبة هنيئة .. بل لتحول دون أن يمتد لها جذر أو يقوم لهــا ســاق ، فتموت فى مهدها يوم بذرها .. بل ويموت باذرها برد الفعل بينه وبين الأرض .. وهكذا يجىء جيــل

وراء جيل ، والأرض من خـــلال الزمن تزداد صـــلابتها حتى يتحجر باطنها فلا تصلح لشىء يقيم الحياة !.

ذلك مثـــل الحق فى القرآن الكريم حيث يقول سبحانه : ((فطال عليهم الأمــد فقست قلوبهم ، فهى كالحجارة أو أشد قســـــــوة ...)) .

لقد فات كثيرا من دعاة الاسلام أن أول خطوة فى نهــج الحق هو ربط العباد بخالقهم .. ومن هنا كانت دعوة الاسلام هى اقامة العقيدة السليمة الراسخة من خـــلال فطرة النفس الانسانية التى فطر الله الناس عليها .. فاذا تفاعلت هـــذه النفس مع فطـــرتها صدرت بالخير كله ، وصار مسلكها فى طريق هــذه الحياة هو تحصيل الحاصل لمضمـــون الشريعة الاسلامية التى أضاع كثير من دعاة الاسلام أعمارهم فى سرد تفاصيلها دون ما أثر لجهودهم يذكر ..

بل لقد كان من أثر ذلك أن دخـــل الى فقه التشريع كثير مما ليس منه فى شىء ، حينما صاغ كثير من الأدعياء والمتعالمين كثيرا من أحكام الشريعة حسب أهـــوائهم وأهواء سادتهم لاقرار الضـــلال باسم الحق .. فزادوا الطين بلة ، والحيـــاة جحيما .. وصـــار المجتمع الذى ينتمى الى الاســـلام ــ أدعياء وشعوبا ــ أشد على الاسلام خطرا من اعدائه الذين يتربصون به الدوائر على مـــدى التاريخ .. وصـــدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : ((انى لا أخاف على أمتى مؤمنا

ولا مشركا ، فأما المـؤمن فيمنعه الله بايمـانه ، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكنى أخـاف عليكم كل عالم اللسان منافق الجنان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » .

الا أن قضيـة الاسلام قضية الهية فوق هذه الأرض تقوم أول ما تقـوم على صلة العبد بربه خوفا ورجاء .. ليكون مسلكها الفطرى من داخـل النفس هو معين شريعـة السماء نظـرا وتطبيقا .. دون ما خشيـة من حاكم أو تهيب مـن سلطان(١) ...

وصدق الله حين يصف عباده حيث يقول : (... يرجون رحمته ويخافون عذابه ..) .

ونحن فى هـذه الرسالة اذ نتكلم عن « عبرة المـوت » و « خوف الله » انما نعمل على تثبيت صلة العبد بربه عـن طـريق النظر فى مرجعه ومصيره ، حيث لا ريب فى اللقـاء والحساب والثـواب والعقاب ، بل الى الجنـة ابدا أو النار أبدا .. كى يأخذ المـرء من نفسه لنفسه ، ومن صحتـه لسقمه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن فنائه لخلوده ..

---

(١) راجع الرسالة الأولى من رسائل شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « مقومات الدعـوة الاسلامية من خـلال النظر فى بدء الخلق والنشأة » للمؤلف .

والمـــوت هو نداء السماء الى الأرض لم ينقطع صـــوته أبدا منـــذ قامت الحياة ، وكان صـــداه هو باعث الفطرة حتى من خلال فترات الأنبياء بين الرسالة والرسالة .. بل لقـــد كان — وما يزال — نور هذه الفطرة فى الجاهلية يهــــديها ســـواء السبيل ، حين كان ينقطع سبيل الوحى على مدى التاريخ .. حتى لقد رأينا الحكماء فى الجاهلية تنبض قلوبهم بوحى هذه الفطرة دعوة الى حقيقة الحق الأعلى عقيـــدة وسلوكا .. فهذا لبيد حيث يقول :

الا كل شىء ما خـــلا الله باطـــل
وكل نعيـــم لا محـــــالة زائل

وهذا قس بن ساعدة الأيادى حيث يقول : ((من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت .. أقسم قس قسما حقا : ان لله دينا هو أرضى عنده من دينكم ..)) .

وحيث يقـــول :

فى الذاهبـــــــين الأولـــــــ
ـــين من القـــرون لنـــا بصـــائر
لمـــا رأيت مـــــواردا للمـــو
ت ليس لهـــا مصـــــادر
ورأيت قـــومى نحـــــوها
يمضى الأصـــاغر والأكـــابر

لا يرجـــــع المـــــــاضى ولا
يبقـــى مـــن الباقـــين غـــابر
أيقنت أنى لا محـــــــــــا
لة حيث صـــــار القـــوم صـائر

* * *

وهذا عنترة بن شداد حيث يقــول :
ولقــد أبيت على الطــوى وأظلــه
حتى أنـــال به كـــــريم المــاكل

وغــير أولئك وغيرهم كثيرون ، كانوا يرددون فى بيداء الحياة فى الجاهلية من خلال النظر الى عبرة الموت حقيقــة الصدق فى العقيدة والسلوك .. خــوفا ورجاء ، واستيعابا ونظرا ، وادراكا وعملا ..

على أن هــذه الرسالة التى بين يدى القــارىء تشمل موضوعى ((عبرة الموت)) و ((خوف الله)) كانت خطبتى جمعة سجلها بعض الأخوة فى بعض مساجد الجماعة حيث القاهما المــؤلف فى مناسبة معروفة حصــد فيها سيف الحق حاكما جبارا وسلطانا جائرا ، ظن لنفسه الخلود فأخذه الله أخذ عزيز مقتـــدر .

والله نســأل أن تكون هذه الرسالة من رسائل الدعوة

هادية الى الحق ، تضيء للمسلم سبيله الى ربه ، وتعينه على أمر دينه ودنياه وآخرته .. وأن يكون بالعمل بها حجة له (يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من شفيع يطاع ..) (يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد فهمى عبد الوهاب
نائب رئيس شباب سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم

* * *

عبـــرة الموت

نذير السمـــــاء :

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهـــور الأكاسرة والقياصرة ، وقطع بحدة حبل الأمل على الطغاة منذ خلق للخق الى يوم الراجفة تتبعها الرادفة .. **« قلوب يومئـــذ واجفـــة . أبصارها خاشعـــة . يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة »**(١) .

واشهد أن لا اله الا الله ، صاحب الوعد الحق ، والوعيد الصـــدق ، الذى انفـــرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر بزمام الحياة والفنـــاء ، فكم من ظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وكم من فاسق قبضـــه قبضة مهيمن متفـــرد متكبر ، فاذا هم وقد نقلوا من القصور الى القبور ، ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحـــود ، ومن لذيذ الطعام والشراب الى التمرغ فى الرغـــام والتراب ، ومن عـــز التملك والسلطان الى ذلة الحســـاب والخسران ...

(أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبـــة الذين من قبلهم ، دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ..) .

---

(١) من مقدمة للامام الغزالى بتصرف .

(وكأين من قرية هى أشـــد قوة من قريتك التى أخــرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم . أفمـــن كان على بينة من ربه كمـــن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم . مثل الجـــنة التى وعد المتقـــون فيها أنهار من ماء غـــير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين . وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل ألثمرات ، ومغفرة من ربهم ، كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) .

وأشـهد أن محمـــدا صلى الله عليـــه وسلم هو عبـــد الله ورسوله ، اصطفاه ربه من خلقه ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم .. فأدى أمانته وبلغ رسـالته ، وترك المؤمنـــين على محجة بيضاء ليلها كنهارها .. مخوفا اياهم مغبة الهوى والضلال عن سبيلها ، مبشرا بخاتمة الموت عاقبة الصـــادقين فى النعيم . ومنذرا بها عقبى الكافرين والفاسقين فى الجحيم .. فقـــال صلى الله عليـــه وسلـــم : **((ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهـــوى وطـــول الأمـــل ، فأما اتباع الهـــوى فانه يصد عن الحق ، وأما طـــول الأمل ، فانه الحب الدنيا ..)) .**

ثم قال صلى الله عليـــه وسلم : **((ألا ان الله يعطـــى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا أحب عبـــدا أعطاه الايمـــان ، الا أن للدين أبناء وللدنيا أبناء .. فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، الا أن الدنيا قد ارتحلت مولية ،**

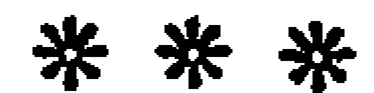
الا أن الآخــرة قد ارتحلت مقبلــة ، ألا وأنكم فى يوم عمــل ليس فيــه حساب ، ألا وأنكم توشكون فى يوم حساب ليس فيــــه عمــل . . » .

وقال عليــه السلام : « **نجا أول هذه الأمــة باليقــين والزهــد ، ويهنك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل . . »** .

اللهم صــل وسلم وبارك على هــذا النبى الطاهــــر الأمين ، ووفقنا اللهم الى اتباع سبيله مع الهداة المهتدين ، وارفع عنــا مقتك وغضبك ، واجعلنا أهــلا لدينك القــوى المتين ، وارض اللهم عن أصحاب رسول الله وأنصـــاره وأزواجه وذريته وآل بيته ، ومن نهج نهجهم وسلك طريقهم الى يوم الدين . .

أما بعــد ، فيقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه :

(تبــارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قــدير . الذى خلق المــوت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهــو العزيز الغفور) .



عبرة الحيـــــــاة :

أيهـــا المؤمنـــون :

جعــل الله الموت عبرة الحياة فى هــذا الوجود ، فهى خاتمة المطاف فى هــذا الأجل المحــدود .. كى يأخــذ المرء من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن صحته لسقمه ، ومن غناه لفقــره ، ومن فنائه لخلوده .. **((يا أيهــا النــاس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم مــن نطفــة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغــير مخلقة ، لنبــين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشــاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم .. ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئــا ، وترى الأرض هامــدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتيــة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور)) .**

ولقد علم أولياء الله المتقون العابدون من عبرة المــوت على مدى الزمن أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأنها فتنة الفاسقين ودار الكافرين المغرورين ، وأنها جيفة لا يقبل عليها الا الكلاب والسباع ، فخافوا ربهم وأغمضوا عنها عيونهم ، وزهدوا فيها جوارحهم وأرواحهم ، وسخروا من أعراضها ومباهجها

فسخروها لدينهم وآخـرتهم ، فأعطاهم الله زمامهـا فركبوا صعبها كى ينالوا من الآخرة سهلها ويسيرها ، وحملوا أثقالها كى ينعموا من الآجلة بأمنها ونعيمها .. ثم خرجوا منها الى الحياة الآبدة فى الهناء والرضوان ، وباء أعداؤهم من عبيد الدنيا بالخلود فى الذلة والخسران . **(وقالوا الحمـد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور . الذى أحلنـا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيهـا لغوب . والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنـا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكرون فيه من تذكر ، وجاءكم النذير ، فذوقوا ، فما للظالمين من نصير) .**

فتنـة الحيـاة :

وعلى هذا النهج المستقيم فى ادراك عبرة الموت فى نفوس أهل الطاعة ، دأب الأنبياء والمرسلون على نهى عباد الله عن حب الدنيا والافتتان بها .. فقد قال صلى الله عليـه وسلم : **((من أحب دنيـاه أضر بآخرته ، ومن أحب آخـرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى)) .**

وروى أن النبى صلى الله عليـه وسلم مـر ذات يوم على شـاة ميتة على جانب الطـريق ، فقال لمن حـوله من أصحـابه :

« أترون هذه الشاة هينة على أهلها ! ؟ » .

قالوا : من هوانها ألقـــوها ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « **والذى نفسى بيـــده ، للدنيا أهـــون على الله من هـــذه الشاة على أهلها ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافرا منهـــا شربة ماء** » .

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صدق الايمان يقتضى من المؤمن أن يكون فى الدنيا قصير الأمل كثير العمل ، دائم الذكر للموت ، عظيم الخوف من الله ، عميق الرجاء فيما عنده ، قليل الحرص على ما فى الدنيا من متـــاع زائل ، أو عرض فان ، أو جاه كاذب ، أو سلطان زائف .. قال تعالى : (**قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أوليـــاء لله من دون النـــاس فتمنوا المـــوت ان كنتم صـــادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمـــين . قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون**) .

ولقـــد روى عـــن ابن عمر رضى الله عنهما قال : **أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة ، فقـــال رجل من الأنصار : من أكيس الناس وأكرم الناس يا رســـول الله ؟؟**

فقال : ((**أكثرهم ذكــرا للموت وأشدهم استعدادا له ، أولئك هم الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة**)) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد ذات يوم ، فاذا قــوم يتحدثون ويضحكون ، فقـــال صلى الله عليه وسلم : ((**اذكروا المــوت ، أما والذى نفسى بيــده ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**)) .

وفى هذا المعنى قول الرسول الأعظم : ((**لو تعلـــم البهــائم من الموت ما يعــلم ابن آدم ، مــا اكلتم منهــا سمينـــا**)) ! .

ولقــد ذكر المولى سبحانه أن الحيــاة الدنيا انما هى شهوات وزينـــة ، وأن أهل هذه الشهوات والزينة فيها انما هم المغرورون المبعدون عن رحمة الله ورضوانه فى الآخـــرة .. فقال تعالى : (**زين الناس حب الشهوات من النساء والبنــين والقناطــير المقنطرة من الذهب والفضـــة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حســـن المــــآب**) ..

وقال جل وعلا (**اعلموا انما الحيــاة الدنيا لعب ولهــو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما** .

وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) .

وقال سبحـــانه : (زين للذين كفروا الحيـــاة الدنيـــا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقـــوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وقال سبحانه : (ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) .

وقال عز من قائل : (واضرب لهم مثـــل الحيـــاة الدنيـــا كماء أنزلنه من السمـــاء فاختلط به نبـــات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا . المـــال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) .

وقال عز ثناؤه : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنـــة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا ان الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهـــوا ولعبـــا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) .

وقال عز وجل : ((من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخـــــرة من نصيب)) .

هـــــذه الدنيا :

ولقد صور الرسول الأعظم هذه الدنيا على حقيقتها فى الحديث الذى رواه ابو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

قال لى رســول الله صلى الله عليــه وسلم يومــا :

((يا أبا هريرة ، ألا أريك الدنيا جميعها ، قلت نعم يا رسول الله .. فأخــذنى وذهب بى الى واد من أودية المــدينة ، فاذا مزبلة فيها رءوس أناس وعــذرات وخرق بالية وعظام .. ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا أباهريرة ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : هــذه الرءوس كانت تحرص كحرصكم وتأمــل كأملكم ، فاذا هى اليوم عظام بلا جلد ، ثم هى صائرة رمادا ، وهــذه العذرات هى ألوان أطعمتكم اكتسبوها مــن حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطــونهم فاذا هى اليــوم والنــاس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية هى ألوان لباسهم ورياشهم ، فاذا هى اليوم والرياح تصفقها ، وهذه العظام هى عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد .. — يعنى أنهــا تختلط اليوم بعظامهم — فمن كان باكيــا على الدنيا فليبــك)) .

يقول أبو هريرة فأخذت ابكى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله لنا أن نبكى ..

وقال صلى الله عليه وسلم : ((**الدنيـــا دار مـــن لا دار له ، وعليهـــا يحسد من لا فـــقه له ، ولهـــا يسعى من لا يقـــين له**)) .

وقال عليه السلام : ((**من أصبح والدنيا أكبر همــــه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصـــال .. همـــا لا ينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا ، وفقرا لا يبلـــغ غناه أبدا ، وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا**)) .

ولقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الايمان بالله واليوم الآخـــر وبين الاستعداد للموت والعمـــل ليوم الحساب ، وقـــرر أن حب الدنيا يتعـــارض مع حب الله والآخرة ، فلا يجتمعان فى قلب مؤمن أبدا .. فقـــال صلى الله عليه وسلم : ((**تحفة المؤمن المـــــوت**)) .

وخوف صلى الله عليــــه وسلم النـــاس عاقبة الاغترار بالدنيا ، قال عليه الصلاة والسلام : ((**ما ينتظر أحـــدكم من الدنيا الا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضـــا مفسدا ، أو هرما مقيدا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال ، فالدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر ..**)) .

وروى أن عيسى عليــــه السلام مر بجمجمة فضـــربها برجله ، فقال : تكلمى باذن الله .. فقالت : يا روح الله ، أنا ملك زمان كـــذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى علـــى تاجى

وحولى جنودى وحشمى ، على سرير عرشى ، اذ بدأ لى ملك المـوت ، فزال منى لكل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسى اليه .. فيا ليت ما كان من تلك الجمـوع كان فـرقة ، ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ..

وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

تلا رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره الاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعـل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعـد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان النور اذا دخل الصدر انفسح » فقيل : يا رسول الله : هل لذلك من علامة تعرف ؟ قال : « نعم .. التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله .. » .

* * *

استعداد الرسـول للمـوت :

ولقد رأى أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف كان يستعد نبيهم للموت ، وقد غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر ، فما استكان فى عبـادة ، وما شبع قط من طعام ، وما وهن لما أصابه فى سبيل الله ، وما رؤى ضاحكا

حتى تبدو لهواته ، وما اطمأن الى راحة أو نوم حتى ينهض مذعــورا لصلاة أو جهاد ، ومع ذلك فقد كان أشــد الناس خوفا من الدنيا وفتنتها ، وكان يقــول فى دعائه ((**اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حيـــاة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمــل**)) .

ولم يكن عجبا أن يرث هؤلاء الأصحاب الأبرار نعمة الخوف عن امامهم الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فيورثونها لأتباعه علما وعملا على مدى التاريخ .. لقد رأوه صلى الله عليه وسلم يعالج شدة الموت وهو يقول : ((**لا اله الا الله ، ان للموت لسكرات**)) .

فلما أخذهم الفزع خوفا على حياته ، ونما اليه اجتماعهم وهلعهم من تصور فراقه .. تحامل صلى الله عليه وسلم على نفسه وهــو معصوب الرأس من شــدة الحمى ، متوكئا على على والفضـــل بن العباس رضى الله عنهما حتى دخــل المسجد وهو يجر رجليه .. وجلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

((**أيها الناس .. انه بلغنى أنكم تخافون على الموت ، كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من مــوت نبيكم ؟؟ ألم أنع اليكم وتنع اليكم أنفسكم ؟؟ ((انك ميت وانهم ميتون)) هل خلد نبى قبلى فيمن بعث ؟؟ ألا انى لا حق بربى ، وانكم**

لاحقون به ، وانى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، فان الله عز وجــل قال : ((والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنــوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) وأن الأمـــور تجــرى باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فان الله عز وجــل لا يعجل لعجلة أحــد ، ومن غالب الله غلبــه ، ومن خادع الله خدعه ، فهل عسيتم ان توليتم أن تفســدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصـــارهم ..)) .

ثم قــــال :

((ألا وانى فرط لكم وأنتم لا حقون بى ، الا وان موعدكم الحوض حوضى ، أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن ، يصب فيه ميزاب الكوثر ــ ماء أشد بياضا من اللبن ، وألين من الزبد وأحلى من الشهــد ، من شرب منه لم يظمــأ أبدا ، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك ، من حرمه فى الموقف غــــدا حرم الخير كله ، الا فمن أحب أن يرده على غدا ، فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغى ..)) .

ثم قــــال :

((يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم ، وتبدل القسم ، فاذا بر الناس برهم أئمتهم ، واذا فجر الناس عقــوهم ..

قال تعالى : ((وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون)) .

* * *

عبرة الموت عند الصديق :

ولا غرو أن نرى الصديق رضى الله عنه ، وهو أرسخ المؤمنين ايمانا ، وأعمقهم يقينا ، وأعدلهم حكما ، وأخلصهم عملا ، وأكثرهم علما ، وأصدقهم حديثا ، وأمضاهم جهادا وبلاء .. حينما أتاه الموت يفزع الى ربه خوفا وطمعا ويقول : اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة اليهم ، ثم جعلتهم فريقين ، فريقا للنعيم ، وفريقا للسعير ، فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير .. اللهم انك خلقت الخلق فرقا ، وميزتهم قبل أن تخلقهم ، فجعلت منهم شقيا وسعيدا ، وغويا ورشيدا ، فلا تشقنى بمعاصيك .. اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم ، فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى ، اللهم انك دبرت الأمور وجعلت مصيرها اليك ، فأحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى ، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك ، فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله ..

فلما اشتدت به نازلة المنية وغشيته غاشية من غواشى الموت .. صاحت ابنته عائشة أم المؤمنين وانشدت تقول :

لعمــــرك ما يغنى الثراء عــن الفتى

اذا حشرجت يوما وضـــاق بها الصدر

فاستفاق الخليفـــة على قولها واستبد به الغضب . وكشف الغطاء عن وجهه وقال :

« ليس كذا يا أم المؤمنين ، ولكن قولى » : ((**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**)) .

ثم غابت نفسه مرة أخرى كأنه قد مات ، فصاحت عائشة مرة أخرى وهى تبكيه وتقول :

وأبيض يستسقى الغمــــام بوجهـــه

ربيـــع اليتامى عصمـــة للأرامــــل

فاستفاق الصديق مرة أخرى وهو فزع يقول : لا يا أم المؤمنين ، ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقالت عائشة : يا أبت ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك ؟؟

فأجابها رضى الله عنـــه وقد رأى منية تأتيه ، فقـــال : قد نظر الى طبيبي وقال : « انى فعال لما أريد » .

هذا أيها المؤمنون ، هو أعظم المؤمنين حبا لله ورسوله

وأحرصهم على طاعة الله ورسوله ، يعرف جلال الله فتهون عليه نفسه ويتضاءل له عمله ويقول : والله لو أن احدى رجلى فى الجنة والأخرى خارجها لما أمنت مكر الله ..

* * *

عبرة المـــوت عند الفاروق :

وهـذا ـ أيها المؤمنون ـ عمر بن الخطاب ، الخليفة الراشد العادل ، الذى ملأ الأرض عدلا وأمنا وعلما ورخـاء ، تأتيه المنية فيتضرع الى ربه أن يغفر له وأن يتجاوز عنـه ويقـول على مسمع ممن حوله : وددت أنى خرجت منهـا ـ أى من الخلافة ـ كما دخلت ، لا أجر ولا وزر .. فلما رغب اليه بعض أصحابه أن يعهد الأمر من بعده الى ابنه عبد الله ابن عمر وهو من العبـادلة الأربعة الذين تلتزم جماعـة المسلمين بأمرهم اذا اتفقوا على أمر من أمور الدين .. أبى رضى الله عنه وقال : بحسب آل عمر أن يسأل منهم واحد عن أمر المسلمين .. مع أن الفاروق هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لو كان نبى بعدى لـكان عمر »** وقال فيه : **« ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا آخر »** .

ومع ذلك كله فقد بلغ خوف عمر حدا وصل به الى أن يقـول رضى الله عنه : « لو أن منـاديا ينادى يوم القيامة أن

الناس كلهم فى الجنة الا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الواحـــــــد .. !

* * *

عبرة الموت عند ذى النـــورين :

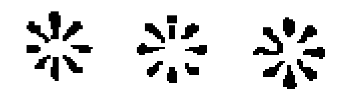
ولقد كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان ذو النورين اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فيقال له رضى الله عنه : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكى من هذا ؟؟ فيكون جوابه : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : **« ان القبر أول منازل الآخرة ، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ، ومن لم ينج منه فما بعـــده أشد منه »** ثم يقـــول رضى الله عنه : **« ما رأيت منظرا قط الا والقبـــر أفظع منـــه »** ان القبر ليتحدث كل يوم الى الرجل من أهل البصيرة فيقـــــول : أنا بيت الدود ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الغـــــربة ، هـــذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟!.

* * *

عبرة الموت عند على كرم الله وجهـــــه :

وهذا هو الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، يصفه ضرار الصدائى فيقول : « كان والله بعيـــد

المدى شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهـــرتها ويأنس الى الليل ووحشته ، وكان غزير العبـــرة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعــــام ما خشـــن ، كان فينا كأحـــدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن والحمد لله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبـــة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين ولا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقـــد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرى غيرى أ الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصـــير وخطرك قليل ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشــــة الطـــــريق ..! » .



عبرة الموت عند الخليفة عبد الملك :

وهـــذا عبد الملك بن مروان تنزل به نازلة المنية ، فيجزع ويبكى .. ويدخل عليه بعض خلصائه فيقولون له : كيف تجد نفسك يا أمير المؤمنين ؟؟ فيجيبهم قائلا : أجدنى كما قال الله تعالى : « **ولقـــد جئتمونا فـــرادى كما خلقنـــاكم أول**

مرة ، وتركتم ما خـولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معـكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » .

* * *

عبرة الموت عند الخليفة الخامس :

وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنـه وهو الملقب بالخليفة الخامس ، والذى أعاد الى الاسلام شبابه ، فما من بدعة كانت ظاهرة على عهده الا أزالها وما من سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تداعت الا أعادها .. ولقد كان رضى الله عنه أكثر الأئمة شبها بجده عمر بن الخطاب رضى الله عنه سـواء كان ذلك فى فقهه وحكمه أم فى عبادته وورعه .. فلما حضرته الوفاة بكى .. فقيل له :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا ، وأظهر بك عـدلا ..

فازداد بكاؤه حتى علا نشيجه .. ثم قال :

ــ أليس أوقف فاسأل عن أمر هـذا الخلق ، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى الا تقـوم بحجتها بـين يدى الله ، ألا أن يلقنها الله حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنـا » .

ثم فاضت عينـــاه بالدمع السخين ، وهو يقول لمن حـــوله :

ــ اجلســـــــونى ...

فلما أجلسوه ... قال مناجيـــا ربه :

ــ أنا الذى أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت .

قالهـــا ثلاثا ... ثم قال :

ــ ولكن ، لا اله الا الله .. ان شـــاء عذب وان شاء غفـــــر ....

ثم لم يلبث قليلا حتى أمر كل من كان عنده بالخروج .. ولم تكن الا هنيهة حتى فاضت روحه الى بارئها وقد نزلت ملائكة الله توجهه نحو القبلة ، وقد نظر الى مقامه عند ربه ، فكان آخر ما سمع منه قوله : **(تلك الدار الآخـــرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فســـادا والعاقبــة للمتقـــين)** ..

* * *

عبرة الموت عند الحسن البصرى :

ولما حضرت الوفاة الحسن البصرى رضى الله عنـــه وهو

من هو فى امامة المسلمين وقدوة المؤمنين ، أخذ يبكى ويبكى .. فقال له من حوله من تلاميذه العلماء :

يا أبا عبد الله ، أو مثلك يجزع ؟ ان عفو الله أعظم مـــن ذنوبك !؟..

فأجابهم رضى الله عنه قائلا :

ــ أو من ذنوبى أجزع .. لو علمت انى أموت على التوحيد لا أبالى أن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا !..

* * *

عبرة الموت عند الشافعى :

وهذا هو الامام الشافعى رضى الله عنه ، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يولد بسنوات طــوال : ((**عالم قريش يملأ طباق الأرض علما**)) . فحينما حضرته الوفاة ، دخل عليه المزنى رضى الله عنه وهـــو تلميذه الأول ، فقـــــــاله له :

ــ كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟؟ .

فأجابه الشافعى وهو يبكى ويقول :

ـ أصبحت من الدنيا راحلا ، وللاخوان مفارقا ، ولسوء عملي ملاقيا ، ولكأس المنية شاربا ، وعلى الله تعالى واردا ، ولا أدرى أروحى تصـــير الى الجنة فأهنيها أم الى النـــار فأعزيها .. ثم أنشأ يقول :

ولمـــا قسى قلبى وضــــاقت مذاهبى
جعلت رجـائى نحــو عفــوك سلما

تعــــــاظمنى ذنبى فلمـــا قرنتـــه
بعفــوك ربى كان عفــوك أعظمـــا

فما زلت ذا عفــو عن الذنب لم تــزل
تجــــود وتعفــــو منـــة وتكــرما

ولولاك لم يغــــوى بابليس عـــابد
فكيف وقــد أغــوى صفيــك آدمـــا

❊ ❊ ❊

قليــــــــل من كثير :

أيها المؤمنـــــــون :

هــذا قليل من كثير مما أصابه المؤمنون الصادقون من عبرة الموت ، أنبيـــاء وصديقين ، وخلفـــاء وعلماء ، وأتقياء وصالحين ، حكاما كانوا أو محكومين ...

لقد عرفوا أن الموت هو نهاية كل حى ، ومآل كل نفس مهما طال عليها الأمد ، فاستغلوا دنياهم لأخراهم ، وحياتهم لمعادهم ، وتخففوا من متاعها وأعراضها ، وتزودوا منهـــــا بزاد التقوى لشق سبيلها ، حتى لقد قال أحد حكمائهم قولته الخالدة : « كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن اليهـــا ، فان عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، أما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضيـــــة .. » .

وصدق الشاعر الحكيم حيث يقـــول :

أحسنت ظنــك بالأيـــــام اذ حسنت
ولم تخف ســوء ما يأتى به القـــــدر
وسالمتـــك الليـــــالى فاغتررت بهـــــا
وعند صفـــو الليالى يحـــدث الكدر

لقـــد عرفوا أن نفسا يتناوشها المـــوت بحرابه من كل جانب وفى كل آن ، حقيـــق بها أن تكون من الله على خـــوف ، ومن حكامه وتعـــاليمه على حـــرص ، ومن حسابه وعقابه على خشية وحذر واشفاق .. فقدروا الله حق قدره ، وأطاعوه فيما أمر ودعا ، وفيما نهى وزجر ، فأعزهم الله بطاعتـــه وكانوا الأذلة المستضعفين ، وأغناهم من فضله وكانوا الفقـــراء المقهورين .. ومكن لهم فى الأرض بقهره وسلطانه ، وكانوا الضعفاء الصاغرين .. فلم يبطروا بالنعمة ، ولم يغتروا

بالسيادة ، ولم يركنوا الى الدنيا ، وانما ازدادوا بالعز اقبالا على بارئهم ، وبالقوة والغنى ايمانا برسالتهم ، وبالتمكين لهم فى الأرض وفاء لأمـــانتهم واستمساكا بالذى أوحى اليهـــم ، وصدق فيهم قول ربهم فى محكم تنزيله : **(وعـــد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهـــم دينهم الذى ارتضى لهـــم ، وليبـــدلنهم من بعـــد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئـــــا) .**

* * *

فتنـــــة الخلف :

ولقد دارت الأيام بالمسلمين ، فاذا بهذا المجـــد الذى بناه لهم رسولهم ودعمته لهم سواعد الصادقين من اسلافهم ، وتوجت به الدنيا رسالة ربهم ، وشيدت به يد القـــدرة صرح القيـــادة للشعوب من أرضهم .. اذا به ينهار على رءوس مسلمى هذا الزمان ــ حكاما ومحكومين ــ لبنـــة لبنـــة ، وينتقض عروة عروة ، واذا بأخس الأمم وأقلها عددا وأحقرها شأنا تهدد كيان الاسلام فى قلب دياره ، وتحتل بيت المقـــدس الذى جعله الله بيتا للمسلمين يشدون اليه الرجـــال لتلمس أنوار الحقيقة العلوية ، بل وتهـــدد الكعبـــة نفسها ، بل وتهـــدد مثوى خـــير خلق الله بالمدينة ، ثم تقيم دولتها من النيل الى الفرات لتدخل فيها شعوبا اسلامية بأسرها فتكفر بعـــد

ايمان .. أجـــــل .. هذا الأمل المريض الذى تجهــر به اسرائيل اليــوم على مسمع من ثمانمائة مليــون من المسلمين .

الا أنها فتنة أوقد نارها من قبل أولئك الذين التمسوا النصر من خـــلال معاصيهم ، وغرتهم الدنيا بزخرفها ، فخلعوا عن أنفسهم رداء الاسلام الطاهر ، وعطلوا أحكامه واهدروا تعاليمه ، وساروا خلف شهواتهم ونزواتهم فى دولة الاســـــلام الكبرى التى فتحها الله على أسلافهم بطاعتهم وتقواهم ، فاشتراهم أعداؤهم بأحط أعراض الدنيا ومن ثم بددوا تراثهم ، ومزقوا دولتهم ، واغتصبوا ديارهم ، وحطموا اخــــلاقهم واستبعدوا شعوبهم .. ((**ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمــة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**)) أجــل ((**ذلك بمــا قدمت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيــد** ..)) .

الا أنها فتنة ، فأما أن يستفيق المسلمون للخطر الداهم والمحيط بدنياهم وأخراهم ، واما أن يدفعوا الثمن غاليا فى حياتهم ذلة وهوانا ، وفى معادهم نكالا وعذابا اليمـــــا ..

الا انه الخطر الأكبر الذى نبــه عنه الرسول الأعظم حيث قـــال :

ــ **عمران بيت المقدس خراب يثرب** (أى المدينـــــة)

الا ان الأرواح والنفوس أرخص الأثمان فى هذا المضمار .

ولقد كنا نظن اننا وقد تصفحنا فى سجل التاريخ صفحة جديدة أن نستقبل عهدا تزدهر فيه شجرة الاسلام من جـــديد لتؤتى ثمارها فى استعادة مجد المسلمين فى مشارق الأرض ومغـــاربها ، ولكنا ما زلنا نأمل أن يفهم قادتنا أين الطـــريق فينهجوا نهج الخائفين من المسئولية العظمى من اسلافهم ، ويتقوا الله فى أنفسهم وفى أمتهم ، فيقيموا بناءها على تقـــوى الله ، ويتلمسوا لهـــا المخرج من كتاب الله وسنة رسول الله ، ويعلموا علم اليقـــين ان الاحتلال والاستعباد انما هما آيتـــان لصـــدق رسول الله حيث قال : **(وما حكم أمـــراؤهم بغـــير ما أنزل الله الا سلط الله عليهم عـــدوهم فاستنفدوا بعـــض ما فى أيديهم) .**

***

هل من رجعـــــة :

ما أحـــوجنا أيها المؤمنون — حكاما ومحـــكومين — الى أن نعود الى الله وننزع عن أنفسنا رداء الذل لشهواتنـــا وأطماعنـــا ، ونقيم بوتنا على آداب الاســـلام وفضـــائله ، ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر أفرادا وجماعات وشعوبا ..

ما أحوجنا الى أن نتدبر تاريخ سلفنا الصالح ، ونتدارس سيرتهم ونهجهم .. وأن تنصت الى صوت الحق تنبض به

قلوبهم .. وما أجمل ما قاله عمر بن عبد العزيز فى خطبة خطبها رعيته حيث قال :

«ان لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فانه والله ما بسط أملا من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا ، وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى ، وانما يفرح من أمن أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوى كلما الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح ؟؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين فيه منصوبة ، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به الأرض لتشققت .. أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما » .

ندعو الله جلت قدرته أن يجعل لنا من أمرنا رشدا ، وأن يعصمنا من فتنة الدنيا ، وأن يحبب الينا الايمان ويزينه فى قلوبنا ، وأن يكره الينا الكفر والفسوق والعصيان ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ..

الخوف من الله

ظل الرســـالة :

الحمد لله الذى خلق السمـــاوات والأرض وجعـــل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعـــدلون .

واشهد أن لا اله الا الله ، يسر لأهل محبته سبيل طاعته ، وجنب أهـــل رضوانه سبـــل محاداته ومعصيته . . فاقتضت حكمته أن يستدرج عباده من حيث لا يعلمون ، فحفهم بالمـــكاره واللذات ، وأملى لهم لينظـــر كيف يعملون ، وامتحن بهـــا حبهم ليعلم صدقهم فيمايدعـــون . . **(فأما مـــن طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقـــام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) .**

واشهد أن محمدا صلى الله عليـــه وسلم هو عبد الله ورسوله ، استظل بظل رسالته النبيون والصديقون ، وفنى فى سبيل دعوته واعزاز كلمته الشهداء والصالحون ، وســـاد الأرض من بعده أتباعه وأنصاره الصادقون المتقون . . فأعزهم الله فى الدنيـــا بما لم تعتز به أمة فى العـــالمين ، وخصهم يوم الفزع الأكبر بأمنه ورحمته ورضوانه . . فقال ـــ عز من قائل ـــ

ذاكرا فضلهم من خــلال القرون فى محكم قرآنه : ((**ورحمتــى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقــون ويؤتون الــزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيـــل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبــات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغــلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعــوا النور الذى أنزل معه ، أولئك هم المفلحون) .**

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وانصاره وذريتــه وآل بيته ، وعلى من دعا بدعوته الى يوم الدين . .

* * *

أما بعـــد . . فيقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه :

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهــد الله على مافى قلبه وهــو ألد الخصــام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبــه جهنم ولبئس المهــاد) .

* * *

سلم النجـــــاة :

أيهـــا المسلمون :

بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى العالمين ليختم به رسالة السماء الى الأرض ، وليكمل بدعوته نعمـــة الهـــداية والرشاد ، وليجمع فى شريعته بين أشتات الفضائل من لدن آدم الى أن يقوم الناس لرب العالمين ..

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينـــا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب) .

ولقـــد ربط الله بين شرائع الأنبياء ورسالات المرسلين منذ خلق الانسان واستخلفه فى الأرض ، حول قاعدة أساسية ثابتة ، فيها سر الوجود ومنشؤه ، ومدار الخلود وحكمته .. هى قوله تعالى : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .**

ثم جعل العبادة ميدانا تصطرع فيه القوى خوفا ورجاء ، وتتنافس فيه العزائم تقربا وفناء .. فقال جل وعـــلا : — **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعـــوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عنـــد الله أتقاكم ، ان الله عليم خبــــــير) .**

ومن هنـــا كانت التقوى هى سلم النجاة بين عباد الله فى كل زمان ومكان .. وكانت هى ملتقـــى دعوات الأنبيـــاء لاخراج الناس من الظلمات الى النور .. وكانت هى الثمن الذى يدفعه الانسان من نفسه ليشترى به نعمـــة الخلود من خـــلال هذه الدنيا الفانية ، ونعيمها الزائل ، وعرضهـــــا الرخيـــــص ..

* * *

ركيزة التقــــــــوى :

ولقد بين لنا رســـول الله صلى الله عليه وسلم أن تقوى الله ترتكز أول ما ترتكز على مخافته سبحانه ، وحق لمـــن يخاف ربه أن يتلمس الطـــريق الى مرضاته ، وأن يتجنب السبيل الى سخطه وعصيانه ..

وهكذا نرى الرسول الأعظم يجيب عبد الله بن مسعود عندما سأله أن يدعو الله له أن يجمعه به فى الجنة .. فقـــال صلى الله عليه وسلم : ((**ان أردت أن تلقانى ، فأكثر مـــن الخوف بعـــدى ..**)) .

ولا غـــرو أن نرى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم نفسه ، وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخـــر ، لا يزداد بكرم الله الا اقبالا على طاعته ، وامعانا فى الخوف

منه .. حتى لقد كانت تتورم قدماه من القيام والقعـــود ، والركوع والسجود ، وكان يأخذ منه الجوع والعطش والأذى فى سبيل الله كل مأخـذ .. وكان مـع ذلك كله يستقل عمله المضنى ، ويستهين بعبادته وشدة صبره فيها ، ويتجـه الى ربه بين حين وآخر وهو يقول :

((سبحانك ، ما عرفناك حق معرفتك ..)) .

وكان يقول لأصحابه ، وهم الذين ((**كانوا قليـلا مـن الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم .**)) .. كان يقول لهم بالرغم مما يؤدون من ذات أنفسهم عبادة وتبتـلا :

((**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله**)) فلما أدهشهم ذلك منـه **قالوا : ((ولا أنت يا رسول الله !؟)) قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله برحمتـه)) ..**

وكان صلى الله عليـه وسلم يكثر من حض المؤمنين على تلمس أسباب الخـوف من الله فى طريقهم اليه ، ويقول ضمن ما يقول : **((أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه ..)) .**

وروى عنـه صلى الله عليـه وسلم أنه قال : **((قال الله عز وجل ، وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمـع**

له أمنين ، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة)) .

بين الخـــوف والرجـــاء :

ولقـــد كان من فضل الله على عبـــاده أن هيأ لهم ميدان التسابق اليه ، وأحاطـــه بسياج من الرهبـــة والرغبة ، كى لا يدع أهل الايمان فرصة للقرب الا اقتنصوها ، ولا طـــريقا للخير الا سلكوها ، وكى لا ييأس أهل العصيان من التوبة ، ولا يقنطوا من رحمة الله .. والى هـــذه المعانى أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على المنبر يوما ، فقبض كفه اليمنى ثم قال :

((هذا كتاب الله ، كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، ولكتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، وليعملن أهـــل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة(١) وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبـــل الموت ولو بفواق ناقة .. السعيد من سعد بقضاء الله ، والشقى من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم .)) .

---

(١) فواق الناقة : المربط بين قدميها .

وهكذا يبين الرسول الأعظم رهبة الأمر للناس ، حتى يسارع فى الخيرات من سار فى طريقها ، ويتعجل بالتوبة من غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور .. وحتى يتخذ الجميع مركب الخوف ليعبروا به بحر الحياة الفانية ، الى شاطىء الحياة الآبدة ، التى لا يحدها زمان أو مكان ..

ولقد روى أبو داود والترمذى قالا :

« سئل سيدنا عمر بن الخطاب عن قوله تعالى : **(واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين)** فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال : **((ان الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه(١) فاستخرج منه ذرية ، فقال ((خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون)) ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : ((هؤلاء خلقت للنار وبعمل أهل النار يعملون)) فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل !؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار ..)) .**

---

(١) أى أمر بعض ملائكته بمسح ظهره ، أو تجلى عليه ربنا تعالى بما يعبر عنه بمسح ظهره .

وفى ذلك ما فيه من الحض على خشية الله عز وجـل ، حتى يعيش المـؤمن حياته بين الخوف والرجاء ، وحتى تغمره رحمة الله التى هى وسيلته الى النجاة والجنة ..

* * *

الخـــوف طريق النجـــاة :

ولما كانت التقوى أثرا من آثار الخوف من الله سبحانه ، كان من الطبيعى أن يبـدو المؤمن خائفا فى كل حال ، متواضعا فى كل أمر ، وكلما ازداد علمه بالله عز وجـل ازدادت خشيته ، وكلما كثر ماله كثر بذله وانفـاقه وزهده .. وهكذا يمعـن المولى فى تدعيم أركان الخوف بين طوايا العباد فى طريقهم اليه سبحانه ، فيقـول ضمن ما يقـول فى محكم كتابه فى شـأن الصدقات مثلا : (**لن ينـال الله لحومهـا ولا دمائها ، ولكن يناله التقوى منكم** ..) .

ويؤكد فى معنى تطبيق شرائعه منذ نزلت أن الأمر أمـر اعتقاد وخـوف قبل أن يكون أمر عمل وتنفيذ ، فقال سبحانه : (**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقـوا الله** ...) .

وقال عز وجـل : « **وخافون ان كنتم مؤمنين** » .

ومن ثم فأمر الخوف شرط من شروط الايمان ، فاذا تجرد أحد من خوفه ، تجرد من أخص شروط ايمانه وتقــواه ..

وفى فضيلة التقوى يقول رسول الله صلى الله عليــه وسلم : **((اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، فاذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم ، فيقـــول : يا أيها الناس ، انى قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتــوا الى اليوم ، انما هى أعمــالكم ترد عليكم ، أيهــا الناس ، انى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فــوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم .. قلت ((أن أكرمكم عنـــد الله أتقاكم)) وأبيتم الا أن تقــولوا فلان بن فلان ، وفلان أغنى من فــلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى ، أين المتقون ، فيرفع للقوم لواء فيتبع القــوم لواءهم الى منازلهم ، فيدخلون الجنة بغير حســـــاب ..))** .

ولقـــد كان هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيه ، ليس فى طلب الغفران ألا يقبل عند اقتراف المعاصى ، ولكن كان همهم أن يداخـــل أعمالهم وعـــاداتهم شىء من حب الدنيا فترد عليهم ، لأن الواحد منهم كان أبدا يناصب نفســـه العداء ، فهو فى حرب معها ما دام فيه عرق ينبض ..

ولذلك نرى ام المؤمنـــين عائشة رضى الله عنهـــا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول :

ـ يا رسـول الله .. (الذين يؤتون مـا آتوا وقلوبهم وجلة أنهم اليه راجعون) أهو الرجل يسرق ويزنى !؟.

فيجيبها عليه السلام فيقول : ((لا .. بل الرجل يصـوم ويصلى ويتصدق ، ويخاف ألا يقبل منه)) .

❋ ❋ ❋

موعظـة الشعبى :

وما اجمل ما أجاب به الامام الشعبى ، عمرو بن هبيره أمير واسط فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، عندما سأله عمرو بقـوله : انه ليأتينى من يزيد كتب أعرف فى تنفيـذها الهلكة ، فان أطعته عصت الله فماذا تأمر !؟.

لقد اجابه الشعبى فقال :

ــ أما اذ سألتنى فانه يحق على أن أجيبك .. ان الله عـز وجل مانعك من يزيد ، ولن يمنعـك يزيد من الله .. وانه يوشك أن ينزل ملك من السماء فيستنزلك من سريرك وسعة قصـورك الى باحة دارك ، ثم يخـرجك من باحـة دارك الى ضيق قبرك ، ثم لا يوسع عليك الا عملك ..

ــ يا ابن هبـيرة ، انى انهاك عـن الله عز وجل ، فانما

جعل الله السلطان ناصرا لعباده ودينه ، فلا تركبوا عبـــاد الله بسلطان الله فتـــذلوهم ، فانه لا طاعـــة لمخلوق فى معصيـــة الخــــالق ..

يا ابن هبيره ، لا تأمن أن ينظر الله عز وجل اليك عنـــد أقبـــح ما تعمـــل فى طاعتـــه نظـــرة مقت ، فيغلق عنك باب الرحمــــــة ...

يا ابن هبيره ، انى ادركت أناســـا من صدور هـــذه الأمـــة . كانوا فيما أحـــل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، وكانوا لحسناتهم ألا تقبل أخوف منكم لسيئاتـــكم الا تغفـــر ، وكااوا لثواب الآخرة ابصر منكم لمتاع الدنيـــــا بأعينكم .. وكانوا عن الدنيا وهى عليهم مقبلة ، أشـــد ادبارا من اقبالكم عليها وهى عنكم مدبرة ...

ـ يا ابن هبـــيرة ، انى أخوفك مقاما خوفكه الله عز وجل من نفسه فقال : **(ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيـــد) ..**

ـ يا ابن هبـــيرة ، ان تكن مع الله على يزيد يكفك الله بائقته ، وان تكن مع يزيد على الله يكلك اليه ... » .

* * *

وفى هذا المعنى يجيب يحيى بن معاذ رضى الله عنـــــه على أحد المسلمين عندما سأله بقوله :

ـــ من أمن الخلق غدا يا معاذ ! ؟

فقال رضى الله عنه : أشدهم خوفا اليوم ..

***

البكاء والخـــــوف :

ولقد كان الخـــوف يدفع المؤمنين الى البكاء فى ساحة العبـــادة والجهاد ، لأن البكاء ثمرة من ثمار الخشية من الله عز وجـــل ، وهـــو مظهر من مظاهر الصـــدق فى الطاعات والقـــربات ...

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداب على البكاء وطلبه ويقول : « **اللهم ارزقنى عينـــين هطالتـــين تشفيـــان بذروف الدمـــع ، قبل أن تصـــير الدموع دمـــا والأضراس جمـــــرا ..** » .

وكان أبدا يدعو أصحابه الى تلمس البكاء ، ويذكر لهـــم أن من السبعـــة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ، « **رجـــــلا ذكر الله خاليـــا ففـــاضت عينـــــاه** » ..

وفى هـــذا المعنى يربط صلى الله عليه وسلم بين بكاء

المؤمنين وبين صدقهم الذى ينال رحمة الله ورضوانه ، فيقول صلى الله عليه وسلم : **((ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى ، أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى))** .

ومن هنا لا نعجب من أولئك الفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أتوه ليجهزهم حتى يخرجوا معه فى حرب الكفار فى غزوة العسرة ، فلم يجد ما يعنيهم به او يحملهم عليه .. ومن ثم فاضت أعينهم بالبكاء خوفا من الا يصيبهم من رضوان الله جزاء المجاهدين لاعلاء كلمته ، وما زالوا يبكون حتى أنزل الله قوله تعالى مستثنيا اياهم من الفريضة ، ليسكن فزعهم وخوفهم ، وليهدىء روعهم وهلعهم ، حيث قال تعالى : **((ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون))** .

***

البكاء سبيل الغفران :

ولقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ذلك ، أن البكاء سبيل الغفران ، وحائل بين المؤمنين وبين جهنم ،

فقال عليه السلام : **ما مـــن عبـــد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثـــل رأس الذباب من خشية الله تعالى ، ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار »** .

وقال صلى الله عليه وسلم : **« اذا اقشعر قلب المـــؤمن من خشية الله ، تحاتت عنه خطاياه كما يتحـــات من الشجرة ورقهـــــــــا ... »** .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : **« لا يلج النـــار أحـــد بكى من خشية الله تعالى ، حتى يعود اللبن فى الضرع »** .

ولمـــا كانت كثرة الذنوب تظلم القلوب فتجعلها غليظـــة قاسية ، يتعذر عليها البكاء لفرط ما أصابها من البعد عـــــن الله ، والافتتان بالدنيا ومتـــاعها ، والائتناس بأعراضهـــــا ومباهجها ، كان التـــدرب على البكاء طريق اصلاحها ، وفى هـــذا المعنى يقـــول ابو بكر الصـــــديق رضى الله عنـــــه : « من استطاع أن يبكى فليبك ، ومن لم يستطع فليتباك » .

وقال عبـــد الله بن عمرو بن العـــاص رضى الله عنهما : « ابكوا فان لم تبكوا فتبـــاكوا ، فوالذى نفسى بيـــده لو يعلم العلم أحـــدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبـــــــــه » ..

* * *

من صــــور الخوف :

● ولقــد روى عن حنظلة صاحب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال :

« كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـوعظنا موعظــة رقت لهــا القلوب ، وذرفت منها العيون ، وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلى فدنت منى امرأتى ، وجرى بيننــا من حــديث الدنيا ، فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذنا فى الدنيا .. ثم تذكرت ما كنا فيه ، فقلت فى نفسى ، قــد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت ابكى وأنادى واقــــول : « نافق حنظلة » ... فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : « كلا ، لم ينافق حنظلة » .. فدخلت على رســول الله صلى الله عليـــه وسلم وأنا أقــول : « نافق حنظلة » ، فقـــال رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم : « كلا ، لم ينافق حنظلة » فقلت : يا رسول الله ، كنا عندك فوعظتنا موعظـــة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، وعرفنا أنفسنـــا ، ورجعت الى أهلى فأخــذت فى حديث الدنيا ، ونسيت ما كنا عندك عليه .. فقال صلى الله عليه وسلم : « **ياحنظلــة ، لو أنكم كنتم أبدا علــى تلك الحــالة ، لصافحتكم المــلائكة فى الطــرق ، وعلى فراشكم .. ولكن يا حنظــلة ، ســاعة وســـاعة ..** »

* * *

● ولا عجب أن كان يرى فى وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيه ، خطوط سوداء تمتد من أسفل العين الى أسفل الخد من أثر الدموع من خشية الله !.

ولقد روى عن عبد الله بن الزبير أنه كان يصلى فى جوف الكعبة وهو محاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذى يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبى قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه .. ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه ، فما زال رضى الله عنه عن مقامه ، ولا ظهر على صورته وهو بين يدى الله هم ولا اهتمام ، بل وما فزع منها ولا قطع قراءته وبكاءه ، ولا ركع دون ما كان يركع حتى فرغ من صلاته ..

بل انه كان يصلى حين تقف الضربات أحيانا ، فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم ، تصعد وتنزل فى أمان وهى تظنه جذم حائط أو جذع شجرة ، لفرط خشوعه وخشيته ..

ولقد ركع ذات مرة ، وكان رجل من أصحابه يقرا القرآن ، فما قام رضى الله عنه من ركعته وهو يسبح ويبكى حى انتهى الرجل من تلاوة « البقرة » و « آل عمران » و « النساء » و « المائدة » !.

وروى أنه كان يصلى ذات يوم فى بيته ، فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم ، فصرخ

النسوة وانزعج أهل الدار ، واجتمعوا على قتل الحية فقتلوها وسلم الولد .. فعلوا كل ذلك وابن الزبير فى صلاته الخاشعة الباكية ، لم يلتفت ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته ..!

● وهــذا أبو مسلم الخــولانى ـــ من التابعين ـــ قد علق سوطا فى مسجد بيته ، يخوف به نفسه ، ويروض جسده على الانصياع لهــا ، ويخاطبها قائلا وهو يبكى : قومى ، فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا منى .. !

فاذا ما أصاب التعب ساقه تناول سوطه وضربه وقال : « أنت أولى بالضرب من دابتى » !.

وكان رضى الله عنــه كثير البكاء والسهر خوفا من ربه ولحاقا بالصالحين من قبله ، وكان يقول : « أيظن أصحــاب محمد صلى الله عليــه وسلم أن يستأثروا به دوننــا !؟ كلا ، والله لنزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجــالا ..! » .

* * *

خـــــوف الغيب :

أجل ـــ أيها المؤمنون ـــ وكيف لا يدفع الخوف أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم والتابعــين ومن تبعهــم

باحسان ، الى التفـانى فى العمـل والتسابق فى البـذل ، والمسارعة فى الخـير ، والاحتراز من طـوايا النفس ومنازع شرها . وقد رأوه صلى الله عليه وسلم يستعيذ من نفسه ومن النار ، ولا يفتأ يظهر خوفه وخشيته ، ليعلم المؤمنـون رسالته ان رحمـة الله وقف على الخائفين .. حتى لقد روى أنه كان يصلى على طفـل ، ففى رواية انه سمـع فى دعـائه يقول : ((**اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار**)) .

وفى رواية أنه سمع قائلا يقول : هنيئا لك عصفور مـن عصافير الجنة ، فغضب صلى الله عليه وسلم وأراد أن يؤكد خوف العباد فى مواطن الموت ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((مـا يدريك أنه كذلك ، والله انى رسـول الله ، وما أدرى ما يصنع بى ، ان الله خلق الجنـة وخلق لها أهـلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم))!.**

وفى حـديث آخر ، أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل ، فسمع امرأة تقول :

ـ هنيئا لك الجنـة ..

فقال صلى الله عليه وسلم : من هذه المتألية على الله تعـالى))!؟.

فقال المريض : هى أمى يا رسول الله ..

فقال صلى الله عليه وسلم معلما ومخوفا : ((**ومايدريك ، لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبخل بما لا يغنيه**)) !.

وفى هــذا ــ أيها المؤمنون ــ ما فيه من شدة الخوف من الله تعالى ، حتى لقد كان الايمان والصدق يحتمان على المرء أن يوقن بأن ما قدمــه لله من أعمال بالغة ما بلغت ، لن تكون سبيلا الى الجنة الا أن يتغمده الله برحمته . .

* * *

خــــوف الرســول :

وكيف لا يخاف المؤمنون جميعا ، وهذا صلى الله عليــه وسلم يقول : ((**شيبتنى ((هــود)) وأخواتها : ســـورة ((الواقعة)) و ((اذا الشمس كورت)) و ((عم يتساءلون))** .

فقد قال العلماء : لعل ذلك من رسول الله لما فى سورة ((هود)) من الابعاد كقوله تعالى : (**ألا بعدا لعاد قوم هود**) ، (**ألا بعــدا لثمود**) ، (**الا بعــدا لمــدين كما بعدت ثمود**) مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا ، اذ لو شاء لآتى كل نفس هــداها . .

وفى سورة ((الواقعة)) : (**ليس لوقعتهــا كاذبــة . خافضة رافعة**) أى جف القلم بما هــو كائن وتمت السابقة ،

حتى نزلت الواقعـــة ، اما خافضـــة قوما كانوا مرفوعـــين فى الدنيا ، واما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا . .

وفى ســـورة « التكوير » أهـــوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة ، وهو قوله تعالى : **(واذا الجحيم سعــرت . واذا الجنة أزلفت . علمت نفس ما أحضرت)** .

وفى « عم يتساءلون » : **(يوم ينظــر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا)** .

* * *

وراثة الخـــوف :

ولا عجب أن يتوارث أصحاب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم الخوف من رسول الله ، فتصير قلوبهم أشـــد من القدر فى غليانها ، لأنهم يعلمون أن قلب أحدهم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وقد قال « **مقلب القلوب** » ذاكرا حال الذين يخشونه من تلمس طريق النجاة **(والذين هم من عـــذاب ربهم مشفقون . ان عذاب ربهم غير مأمون)** .

ولقد بلغت الحال من خوف أحدهم انه قال :

ـــ لو كانت الشهـــادة على باب الدار والمـــوت على

الاسلام عند باب الحجرة لاخترت المـــوت على الاسلام ، لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار ..!

وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه .. !

وكان سهل رضى الله عنه يقول : خوف الصديقين مـــن ســـوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال : ـ **(وقلوبهم وجلة أنهم اليـــــه راجعـــــون)** .

ولمـــا احتضر الحسن البصرى رضى الله عنه ، جعل يبكى ويجزع ، فقيـــل له : يا أبا عبـــد الله ، عليك بالرجاء ، فان عفو الله أعظم من ذنوبك .. فقـــال : أو على ذنوبى أبكى !؟ لو علمت انى أموت على التوحيـــد ، لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا ..!

وفى هـــذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الناس كلهم هلكى الا العالمون ، والعالمـــون كلهم هلكى الا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم .. »** .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **« العبـــد المـــؤمن بين مخافتين ، بين أجـــل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين**

أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فو الذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار » .

* * *

خوف الأنبياء والملائكة :

ولقد كان خوف الله جل وعلا هو أخص سمات الأنبياء جميعا عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، لأنهم أعرف الخلق بالله ، وأجمعهم لكافة صفاته من القدرة والعظمة والكبرياء وعدم المبالاة . .

وقد أخبر سهل رضى الله عنه قال : رأيت كأنى أدخلت الجنة ، فرأيت ثلاثمائة نبى ، فسألتهم : ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟؟ قالوا : سوء الخاتمة . . !

ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها ، وكان موت الفجأة مكروها . . لأن من المعلوم أن موت الفجأة ربما صادف الانسان وقد غلبه خاطر سوء على قلبه ، فيلقى الله على هذه الحال والعياذ بالله ، أما الشهادة فلا يقبل عليها فى صف الجهاد الا من باع نفسه لله ، والله تعالى يقول : **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا**

عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هـو الفوز العظيـم) .

*** * ***

خـوف رسول الله :

● ولقد روت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهـا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصف يتغير وجهه فيقوم ويتردد فى الحجرة ، ويدخل ويخرج ، كل ذلك خوفا من عذاب الله ..!

● ولقد قالت رضى الله عنها : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى أرى منه لهـواته ، انما كان يتبسم .. ثم قالت : وكان اذا رأى غيما أو ريحا عرف فى وجهـه ، فأقول : يا رسول الله ، أن الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك اذا رأيته عـرف فى وجهـك الكراهية ... فقـال صلى الله عليـه وسلم . **« يا عائشة ، ما يؤمننى أن يكون فيـه عذاب ، عـذب قوم بالريح ، وقـد رأى قوم العـذاب فقالوا هـذا عارض ممطـرنا » !.**

● وروى انه كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ اذا دخل فى الصلاة ، يسمع لصدره ازيز كأزيز المرجل من شدة الخوف .

خوف جبريل وميكائيـــل :

وقيـــل انه لما ظهر من ابليس ما ظهر من المخالفة وكان سيد الملائكة فلعنـــه الله وطرده من رحمتـــه ، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان .. فأوحى الله اليهما : ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ؟؟ فقالا : يارب ما نأمن مكرك ! فقـــال الله تعالى : هكذا كونا ، لاتأمنا مكرى ..

* * *

تخـــويف الله لموسى :

وذكر القـــرآن الكريم تخـــويف الله لكليمه موسى عليه السلام وهو فى ساحة الأمن عندما كلمه ربه .. قال تعالى : **(ولما جـــاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال رب ارنى أنظـــر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبـــل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخـــر موسى صعقا ، فلما أفـــاق قال سبحانك تبت اليـــك وانا اول المؤمنـــين) .**

* * *

خوف داود عليه السلام :

وروى عن الفضيـــل رضى الله عنه أنه قال : بلغنى أن

داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم(١) فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال ، فاجتمعت اليه السباع ، فقال : ارجعوا لا أريدكم ، انما أريد كل بكاء على خطيئة ، فلا يستقبلنى الا البكاء .. ومن لم يكن بلا خطيئة فماذا يصنع بداود الخطاء ..

وكان عليه السلام يعاتب فى كثرة البكاء فيقول : دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء ، قبل تخريق العظام واشتعال الحشاء ، وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ..

خوف يحيى بن زكريا :

وروى عن عبد الله بن عمر ، أن يحيى بن زكريا عليهما السلام ، كان لا يترك سبيلا الى البكاء من خشية الله الا طرقه ، وكان وهو ابن ثمانى سنوات يربط نفسه الى أطراف بيت المقدس وقد علا نحيبه خوفا من الله وتقربا اليه .. ولما بلغ خمس عشرة سنة فر هاربا من خوف الله فى فلوات الأرض ، حتى أدركه أبواه عليهما السلام على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه فى الماء وقد كاد العطش يذبحه فلا يشرب وهو يقول مناجيا ربه باكيا : وعزتك وجلالك ، لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك ..!

---

(١) ذنوب الأنبياء هى مجرد خطرات فى ساحة التفكر .

وتأخذ زكريا عليه السلام الشفقة على وحيده فيقول : يا بنى ، انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك ..

فيجيبه يحيى الغلام ويقول : يا أبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء ...

هنالك اشتد بكاء زكريا وهو يقول لولده : يا بنى فابك ، يا بنى فابك .. !

خوف خليل الله :

وقيل : كان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا ذكر هفوة منه يغشى عليه ، ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل .. فيأتيه جبريل فيقول : ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟؟ فيجيبه ابراهيم عليه السلام ويقول : يا جبريل ، انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى !..

وعندما قبض الكفار على ابراهيم عليه السلام لكسره أصنامهم ، وأرادوا حرقه فى النار العظيمة ، وضعوه فى المنجنيق ليقذفوا به فيها .. هنالك دعا ابراهيم ربه فقال : حسبى الله .

وأراد الله أن يختبره فى دعائه ، فأرسل اليه جبريل وهو على هذه الحال ليقول له : هل لك حاجة ؟؟.

فيجيبه ابراهيم عليـــه السلام : أما اليك فلا ، وامـــا الى الله فنعـــــم ..!

ان ابراهيم عليه السلام قد خاف الله الا يوفى بدعـــائه حـــين اعتمد عليه وحده فى محنته .. فكان حقيقـــا على الله أن يذكر لـه فضلـــه فى محـــكم كتابه حيث يقـــول سبحانه : (**وابراهيم الذى وفى**) أى وفى بموجب قوله ((**حسبى الله**)) !..

* * *

المسيح والخوف من الله :

وروى عن المسيح عليه السلام أنه قال : يا معشـــر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ، ويباعـــدان عن الدنيا ، بحق أقول لكم : ان أكل الشعير ، والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفـــردوس لقليـــــــل ..

* * *

فتنـــــة الخلف :

أيهـــا المؤمنـــــون :

يطـــول بنا الحديث عن أثر الخوف من الله فى قلوب عباده الصادقين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

.. فهو صـــورة تنعكس عليها حقيقة النفس العابدة ، وتنطبع فيها معانى الايمان الصـــادق ، وتتجلى من خلالها أضـــــواء المعرفة النقية من شوائب الشرك والنفاق والادعاء ..

ولقد خلف من بعد أولئك الرواد الكرام والسلف العظام خلف فهموا عبادة الله على غــير حقيقتها ، وساروا فى طريقتهم على غير مجـــــراها .

● خلف أضاعوا الصلاة حتى وهم يؤدونها ــ واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيـــا ..

● خلف ورثوا الكتاب ((**يأخذون عــرض هــذا الأدنى ويقــولون سيغفر لنا ، وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون**)) ؟.

● خلف فتنهم حب الجاه والسلطان ، فآثروا العاجلة على الآجلة ، ورضوا لقومهم البوار والخسران ، فنبذوا كتاب الله وفيه خلاصهم ، ونبذوا سنة رسول الله وفيها حظ الأعـــزة الاكرمين ورجاؤهم ..

● خلف اتخذوا آيات الله هزوا ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم دون احكامه وشريعته ، وراحوا الى الغرب الفاجـــر والشرق الكافر يشرعون منه لخـــير أمة أخرجت للناس ..

ومع ذلك فهم يتشدقون بالاسلام .. وفاتهم — او لم يفتهم — أنهم المنافقون الذين عناهم الله بقوله : — **(ألم تر الى الــذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضــلالا بعيدا * واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرســول رايت المنافقين يصــدون عنــك صـــدودا)** ..

● خلف اجترأوا على الله ، وكفروا بنعمته ، وكشفوا غطاء قلوبهم عن أمراض سرائرهم وضعف ايمانهم ، وتكالبهم على العرض الزائل .. فاتهم فى خضم الفتن — أو لم يفتهم — ان أمانة الدين فى أعنــاقهم تنهد لها الأرض ، وتندك منهــا الجبال ، وتقشعر منها قلوب الأنبياء والصالحين .. ومــع ذلك فما أصبرهم على النار .!

● خلف أعطاهم الله علما فلم يزدادوا عن الله الا بعــدا لقــد أكلوا به ، وتاجروا فيه ، واشتروا به ثمنا قليلا .. وما كان أولاهم أن يكونوا حفظــة الدين بين عبــاد الله ، ومصابيح الهدى بين الحاكمين والمحكومين .

● خلف أعطاهم الله مالا ، فبخلوا به ، وصاروا مــن خوف الفقر فى فقر ، ومن خــوف الموت فى موت ، وفاتهم أن الله ابتلاهم بالمال لينظر كيف يؤدون أمانات أصحاب الحقــوق

فيها فابتلعوها وظنوها أنها لهم خالصة دون من عداهم .. وفاتهم أنهم أضعف من قارون ، ومن صاحب الجنـــة الزاهرة اليانعـــة التى كانت تؤتى أكلها كل حـــين باذن ربهـــا .. **(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هـــذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا)** الى أن قال الله فيه : **(وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيـــه على ما أنفق فيها وهى خـــاوية على عروشها ، ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحـــدا)** .

أيظن هؤلاء الأغنياء الذين يقنعون من دين الله بركعات تؤديها جوارحهم ولم تهضمها بعد قلوبهم القاسية المتحجرة .. أيظنون أنهم أكرم على الله من رسوله .. ألم يستمعوا الى ابن عمر رضى الله عنهما وهو يقول :

— خرجت مع رســـول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل .. فقال : « **يا ابن عمر ، مالك لا تأكل** » !؟؟ فقلت : يا رســـول الله لا أشتهيه .. فقال : « **لكنى أشتهيه ، وهذا صبح رابعة لم أذق طعـــاما ولم أجـــده ، ولـــو سألت ربى لأعطانى ملك قيصر وكسرى ، فكيف بك يا ابن عمـــر اذا بقيت فى قـــوم يخبئون رزق سنتهم ، ويضعف اليقين فى قلوبهم** » !.

قال : فو الله ما برحنا ولا قمنا حتى نزل قول الله تعالى :

((وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليـــــم)) .

هل من عـــــودة :

أيها المؤمنـــون :

من لى بمن يذكر هـــؤلاء ويذكرنا معهم بأن الله يعلم سرنا ونجوانا ، ويعلم ما تنطوى عليه قلوبنا ، كى لا نرجو رحمتـــه وجنتـــه بشهواتنا رجاء الكاذبين المبطلين .. الا أن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم هو القائل : **((ألا ان سلعـــة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنـــــة))!.**

وصدق الشاعر الحكيم حيث قال :

نرجـــو النجاة ولم نسلك مســـالكها
ان السفينـــة لا تجـــرى على اليبس

* * *

وبعــــــد :

فهـــذا طرف يسير من حقيقة الخـــوف الذى يتطلبه ايمان الصـــادقين ، علم به أنبيـــاء الله ومن تبعهم على مر القرون طريق رضـــوان الله ، وسما به أهل السعادة من عباد الله ، حتى خرجـــوا من هذه الدنيا راضين مطمئنين ، فرحـــين

مستبشرين ، خـــالدين فى جنـــات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، الى جوار أنس بالله فى ملكوته ، وقرب منه فى رحبوته ، خالدين فيهـــا ما دامت السموات والأرض .. **(وقالوا الحمـــد لله الذى إذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور . الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغـــــوب ..) .**

فجـــدير بنا أيها المسلمون أن نصحح أحوالنا ، وأن نجدد لله عهودنا ، وأن نستجيب لله وللرسول اذا دعانا لمـــا يحيينا .. وأن ننظر الى الدنيا وزينتها نظـــرة الخائف وهـــو يشق معبرا غير آمن .. عسى الله أن يبدل ضعفنا قـــوة ، وذلتنـــا عزة ، وفقرنا غنى ، وخـــوفنا أمنا واطمئنانا .. **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .**

* * *

المهلـــــــكات الخمس :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

●● ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط ، يعمل بها فيهم عـــلانية ، الا أصابهم الطاعـــون والأوباء التى لم تكن فى أســـلافهم ..

●● وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .

●● وما بخس قوم المكيال والميزان الا أصيبوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان .

●● ولا حكم أمراؤهم بغـــير ما أنزل الله ، الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما فى أيديهم .

●● ولا عطلوا كتاب الله وسنة رسوله الا جعل الله بأسهم بينهم .

وصلى الله على سيـدنا محمد النبى الأمى وعلـى آله وصحبه وسلم .

***

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
عبرة الموت عند على كرم الله وجهه	٣٥
عبرة الموت عند الخليفة عبد الملك بن مروان	٣٦
عبرة الموت عند الخليفة الخامس	٣٧
عبرة الموت عند الحسن البصرى	٣٨
عبرة الموت عند الشافعى	٣٩
قليـــل من كثير	٤٠
فتنـــــة الخلف	٤٢
هـــل من رجعـــة	٤٤
٢ ـ مقـــومات خوف الله	**٤٧**
ظــــل الرســــالة	٤٩
سلم النجـــــاة	٥١
ركيزة التقـــــوى	٥٢
بين الخوف والرجاء	٥٤
الخوف طــريق النجاة	٥٦
موعظـــــة الشعبى	٥٨
البكاء ـــ الخوف	٦٠

الموضوع	الصفحة

كتب المؤلف

١ ـ فى سلسلة التاريخ الاسلامى :

١ ـ الفارس المصلوب ـ (أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير) طبعة ثانية

٢ ـ اللواء الأحمر (شهداء الطليعة) نفد

٣ ـ قاهر الصخرة (طارق ابن زياد) نفد

٤ ـ أسد العرين (صلاح الدين الأيوبى) نفد

٥ ـ مقومات النصر فى بدر وفتح مكة تحت الطبع

٢ ـ فى سلسلة المرأة المسلمة :

٦ ـ الحركات النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية

٧ ـ السيدة زينب رضى الله عنها (عقيلة بنى هاشم)

٣ ـ فى سلسلة رسائل الدعوة :

٨ ـ مقومات الدعوة الاسلامية من خلال النظر فى بدء الخلق والنشأة

٩ ــ محمد رسول الاسلام فى نظر فلاسفة الغــرب ومشاهير علمائه وكتابه

١٠ ــ أسرار الاسراء والمعراج جسدا وروحا

١١ ــ وجوه البر ومناهج البذل فى القرآن الكريم

١٢ ــ أسرار الحــــج نفـــد

١٣ ــ ورثة الكتاب ــ رسالة العماء

١٤ ــ عبرة الموت ومقومات الخـــوف

١٥ ــ ثورة سنة ١٩١٩ ــ مقدماتها ونتائجها نفــد

٤ ــ فى سلسلة التاريخ الوطنى :

١٦ ــ حقيقة الثورة العرابية نفـــد

١٧ ــ الوعـــود البريطانية نفـــد

١٨ ــ من هـــو سعد زغلول نفـــد

٥ ــ فى سلسلة الكتب العلمية :

١٩ ــ دراسات نظرية وعملية فى حقل الفنون الأثرية وطرق ومواد الترميم الحديثة

* * *

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى « قصر العينى »
ت. ٣٥٥١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٠٣ ـــ ١٩٨٠

الترقيم الدولى ٠ ـــ ٥٢ ـــ ٧٣١٢ ـــ ٩٧٧

هذه الرسالة

لابد للداعية من ثلاث مقومات.

سلامة فى العقيدة .. وعلم بالشريعة .. واستقامة فى الخلق والسلوك .

وسلامة العقيدة عنوان سلامة العقل والقلب .. والعلم بالشريعة منار الهداية للجوارح فى التطبيق .. واستقامة الخلق والسلوك ثمرة وعبير الروح الطيبة الذكية .

والفشل الذى يصيب الدعاة انما يصيبهم اذا اعتنوا بجانب واحد أو اثنين من هذه الجوانب ، دون أن يعتنوا بها جميعا .

ولا يروى روح الداعية الا ذكر الله .. ولا يتحقق ذكر الله الا بالخوف من الله والاعتبار بالموت .

ومن هنا كان من مقومات الداعية ، التى تصقل روحه وتزكيه : الخوف من الله .. والاعتبار بالموت ..



قرش جنيه